المساواة أمام أحكام الشريعة الإسلامية

١ ــ نص الحديث:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا.) متفق عليه واللفظ لمسلم.

٢ ــ ترجمة رواية الحديث:

هي عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بنت الإمام الصديق خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، هي أم رومان بنت عامر بن عويمر، هاجر أبوها وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة رضي الله عنها وذلك قبل الهجرة ببضعة عشرة شهرا. ومسند عائشة يبلغ ٢٢١٠ حديثا، اتفق لها البخاري ومسلم على ١٧٤ حديثا، وانفرد البخاري بـ ٥٤، ومسلم بـ ٦٩. و لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها، ولا أعلم في أمة النبي صلى الله عليه وسلم منها، قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ١٨ سنة. وتوفيت رضي الله عنها سنة ٥٧ هـ.

٣ ــ شرح الألفاظ:

أهمّهم: أي جلب لهم الهمّ.

المخزومية: نسبة إلى بنت مخزوم وهي قبيلة من قبائل قريش.

حبّ رسول الله: أي حبيبه المقرّب إليه.

أتشفع: من الشفاعة وهي الرجاء بالتجاوز عن الأمور.

أيم الله: قسم بالذات المقدسة، وأصلها أيمن الله، ومعناها قسم بالله.

أسامة: هو ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٥٤ هـ.

٤ ــ المعنى الإجمالي:

يضرب رسول الله عليه الصلاة والسلام أروع الأمثلة في تطبيق مبدأ العدالة والمساواة لاسيما في الحدود دون تفريق وتمييز بين قوي وضعيف وشريف ووضيع فالكلّ في نظر الإسلام سواء لا يراعى الغني لغناه ولا يحابى الشريف لمترلته، فالناس في ميزان الدين سواسية. وهكذا يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم على قواعد الجاهلية فيدكّها من أساسها ويقتلها من جذورها. فهاهي امرأة من أشراف قريش تسرق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخشى عليها قومها أن يبلغ أمرها

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقيم عليه الحدّ، فبحثوا لهم عن شفيع فلم يجدوا إلا أسامة بن زيد، فيأتي أسامة ليكلم الرسول وهو واثق من قبول شفاعته، فما يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يغضب ويظهر ذلك على وجهه فيقول لأسامة: (أتشفع في حد من حدود الله ؟) يقول ذلك منكرا عليه ثم يقف خطيبا في الناس ليبيّن لهم أن هلاك الأمم السابقة أنّما كان بسبب عدم تطبيق حدود الله.

لقد جاء الإسلام فحطم هذه النظم وأقام الناس جميعا على قانون واحد ونظام عادل، قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) سورة الحجرات الآية ١٣.

وهكذا يغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الشفاعة ويقول كلمته: (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

٥ ــ ما يستفاد من الحديث:

ــ الإسلام دين الحق والعدل لا يرضى بأي مبدأ جائر كالشفاعة في الحدود، فهو مبدأ التفريق بين الناس والتمييز بين العناصر، فهذا شريف يعظّم ويكرّم لشرفه وجاهه وذلك ضعيف لا حول له ولا قوة يُزدرأ ويهان لضعفه وقلة شأنه.

ــ حاشا لفاطمة الزهراء التي تربت في بيت النبوة أن تسرق، ولكنه مثل يضربه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يبقى خالدا على مرّ العصور بأن رسالة الإسلام إنما دعوة العدل والمساواة.

ــ شرع الإسلام الحدود صيانة للممتلكات والأرواح والأعراض وحرّم التنازل عنها أو تبديلها أو الشفاعة فيها وهذا لا يتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم: (أدرؤوا الحدود بالشبهات) رواه البخاري.

٦ ــ أسئلة المناقشة:

١ ــ عرّف براوي الحديث.

٢ ــ اشرح المفردات التالية: ــ المخزومية ــ أيم الله ــ سرقت.

٣ ــ لماذا شرّع الإسلام الحدود وحرّم الشفاعة فيها ؟

العمل والإنتاج في الإسلام ومشكلة البطالة

١ ــ نص الحديث:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ فَيَأْتِيَ الجَبَلَ فَيَجِيءَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَسْتَغْنِيَ بِثَمَنِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ). رواه البخاري.

٢ ــ التعريف بالراوي:

هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد، ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم (صفية بنت عبد المطلب)، أسلم وهو يبلغ من العمر ١٦ سنة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث قليلة، توفي رضي الله عنه سنة ٦٣ هـ.

٣ ــ شرح الألفاظ:

ــ حزمة: المجموعة من الحطب.

ــ يستغني: لا يحتاج إلى الناس.

ــ منعوه: ردوه و لم يعطوه.

٤ ــ المعنى الإجمالي:

نوضح من خلال المعنى العام للحديث الشريف ما يلي:

مفهوم العمل: هو ممارسة أيّ نشاط، والعمل في أيّ مجال، عن طريق الزراعة أو التجارة أو الصناعة، وأيّ حرفة من الحرف اليدوية وغيرها، ما دام ذلك كله في دائرة ما أحلّ الله تعالى.

دعوة الإسلام إلى العمل: أسلوب الإسلام في الدعوة إلى العمل أسلوب متميّز، لا يكاد يضاهيه أو يقاربه أيّ أسلوب آخر. قال الله تعالى:

ــ (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً) هود الآية ٧.

ــ (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُواْ وَلِنُوَفِّيَهُم أَعْمَالَهُم وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) الأحقاف الآية ١٩.

ــ (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى) النجم الآية ٣٩/٤٠/٤١.

ــ (وَقُلْ اِعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ) التوبة الآية ١٠٥.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

ــ (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) رواه البخاري.

مفهوم البطالة: هي القعود عن العمل، وعدم الاشتغال.

البطالة ظاهرة وُجدت في أغلب المجتمعات الإنسانية في السابق والحاضر، ولا يكاد مجتمع من المجتمعات الإنسانية على مرّ العصور يخلو من هذه الظاهرة أو المشكلة بشكل أو آخر.

محاربة الإسلام للبطالة: حرّم الإسلام البطالة، ومقت القاعدين عن العمل من غير سبب، فقد ورد في الأثر أنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المكفيّ الفارغ (وهو من يكفيه الناس ضرورات الحياة)، وقد ورد في الأثر (إنّ الله يحبّ العبد المحترف ويكره العبد البطال)، وكانت هذه الحرمة لأنّ التبطّل سبيل إلى الفقر الذي كاد أن يكون كفراً. ولأنّ العمل حركة ونشاط والبطالة سُكون وموت.

النهي عن التسوّل: نهى الإسلام عن التسول وقبّحه لأنه ذلّ ومهانة، فالإسلام يدعو إلى الاستغناء عن الناس مهما كان حال الإنسان من الفقر والعوز، كما لا يحل لصاحب القوة الجسمية أن يسأل ما في يد الناس، بل يجب عليه أن يبذل جهده ويحفظ ماء وجهه، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تحل صدقة لغني ولا لذي مرّة سوي).

٥ ــ ما يستفاد من الحديث:

ــ رواية أخرى للحديث: (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحُزمة حطب فيبيعها فيكفّ الله بها وجهه خير لــه مــن أن يسأل الناس أعطَوْه أو منعوه) متفق عليه.

ــ العمل الذي يريده الإسلام، ويدعو إليه هو كلّ عمل صالح تزكو به النفس، وتقوّم به الأخلاق، وتقوى به العلاقات الإنسانية، وتنتظم به الحياة، وتصان به ضرورات الإنسان. وهو كلّ عمل ينمّي الإنتاج، ويزيد الثروة، فتكون للأمّة السيادة، ويكون لها المجد.

ــ لقد حارب الإسلام البطالة بوسائل شتّى منها:

* توفير مناصب الشغل، وجعلها من حقوق الإنسان.
* الترغيب في العمل والترهيب من البطالة.
* الترغيب في الشركة والمضاربة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله عزّ وجلّ يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما) رواه أبو داود
* مشروعية القرض الحسن الذي يساعد على العمل، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يُقرض مسلماً قرضاً مرّتين إلا كان له كصدقة مرّة) رواه ابن ماجه.
* حث الإسلام على إعانة الفقير، وجعل المُعين خيراً من المعان من جهة نيل الأجر والثواب، قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير من اليد السفلى) متفق عليه.
* تشريع الحج وجعله من العبادات الساميّة، وذلك لا يتحقّق إلا بالمال والعمل، فكان الحج دافعاً للعمل والكسب.

٦ ــ أسئلة المناقشة:

١ ــ ما هي قيمة العمل وثماره على الفرد والمجتمع ؟

٢ ــ ما هي الآثار السلبية للبطالة على عموم أفراد المجتمع ؟

٣ ــ تحدث عن التسول وأضراره النفسية والاجتماعية.

مشروعية الوقف

١ ــ نص الحديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ اِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ، صَدَقَةٍ جَارِيَّةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ). رواه مسلم.

٢ ــ التعريف بالراوي:

هو الصحابي الجليل عبد الرحمان بن صخر الدوسي، كناه الرسول بأبي هريرة، وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا للأمّة الإسلامية هذا الركن العظيم وقد رضي الله عنه، وهو من أكبر الصحابة رواية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان يلازمه ملازمة تامّة حتى شهد له الرسول الكريم بالحرص على الحديث ودعا له بثبات الحفظ فلم يسمع شيئا من رسول صلى الله عليه وسلم إلا حفظه.

أسلم سنة ٧ هــ عام خيبر روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٣٧٤ حديثا، اتفق البخاري ومسلم منها على ٣٠٠ وانفرد البخاري بــ ٧٣، ولّاه عمر على البحرين ثم لمدينة المنورة فمكث فيها حتى توفي سنة ٥٧ هــ. ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه.

٣ ــ شرح الألفاظ:

ــ انقطع: توقّف.

ــ جارية: متواصلة وغير منقطعة.

٤ ــ المعنى الإجمالي:

لكل حسنة أجرها وثوابها، وعلى قدر الإخلاص فيها والنفع بها يكون مقدار الأجر، وإذا كانت الحسنة واحدة، وكان لها جهات متعدّدة تَعدّد الأجر، كما يتعدّد بتعدّد الحسنات، وفي هذا الحديث الشريف يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعمال يؤتى صاحبهم أجرهم حيّا وميّتا ولا ينقطع بوفاته لأن النفع بها دائم ومتواصل.

أولها صدقة جارية، وفسّر العلماء الصدقة الجارية بالوقف وهو حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله تعالى، وقد شرع الإسلام الوقف وجعله قربة يتقرّب بها العبد إلى ربّه لما فيها من الحسنات والبر بالفقراء والمحتاجين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره أو ولد تركه أو مصحفا ورّثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته) رواه ابن ماجه.

ثانيها علم ينتفع به، وبذلك يدعو الإسلام إلى العلم والبحث والتفكير لاستخراج كنوز الكون والحياة حتى ينتفع بذلك الناس فتصلح حياتهم، وتكون لهم القوة والحياة السعيدة والرغدة.

ثالثها ولد صالح يدعو له، وصلاح الولد دليل بذل الجهد الكبير من طرف الوالدين للوصول إلى هذه الغاية، وثمرة هـذا الجهد التربية الصالحة فللوالدين الأجر الوافر الذي لا ينقطع ما دام الولد صالحا يدعو لهما بالخير.

٥ ــ ما يستفاد من الحديث:

ــ من أفضل نعم الله على عبده سعة الرزق وبسطة المال، وخير المال ما بذل في سبيل الله وقفا لله، فينتفع به عـاجلا وآجلا.

ــ إن التعلّم والتعليم روح الإسلام لإبقاء جوهره، والناس في نظر الإسلام أحد رجلين إما متعلّم يطلب الرشد وإما عالم يطلب المزيد. فالعلوم النافعة تستفيد منها الأجيال الحاضرة واللاحقة.

ــ إذا أراد الفرد الصلاح، فليُصلح نفسه وخُلقه ثم يُصلح أهله وأولاده، وبذلك يكون صلاح الأمّة جميعـا، قـال الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم) سورة الرعد الآية ١١.

٦ ــ أسئلة المناقشة:

١ ــ ما معنى الوقف، وما هو فضله ؟

٢ ــ أعط أمثلة في الصدقة الجارية.

٣ ــ ما هي الأصول والقواعد التي تقوم عليها تربية الولد ؟

توجيهات الرسول في صلة الآباء بالأبناء

١ ــ نص الحديث:

عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: (أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْــرَةُ بِنْــتُ رَوَاحَةٍ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنَ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةِ عَطِيَّةً فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِ كَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ لَــا. قَــالَ: فَــاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ. قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.) رواه البخاري.

٢ ــ ترجمة راوي الحديث:

هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي المكني بأبي عبد الله وهو أول مولود في الإسلام من الأنصار ولد بعد الهجرة بأربعة أشهر ولأبيه صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم. تولى قضاء الشام، ثم استعمله معاوية رضـــي الله عنــه علـــى الكوفة، وكان من الخطباء المشاهير. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ١١٤ حديثا، اتفق البخاري ومسلم على ٥ منـــها، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بـــ ٤. قتل رحمه الله بالشام سنة ٦٤ هـــ، ودفن هناك.

٣ ــ شرح الألفاظ:

ـــ عطية: هبة أو هدية.

ـــ تشهد: تعلم وتخبر.

ـــ سائر: باقي.

٤ ــ المعنى الإجمالي:

شرع الإسلام الهدية ورغب فيها وحث عليها فقال صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) رواه البخاري. وكان الــنبي عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية لما فيها من مصالح حيث تألف القلوب، وتوثّق العلاقة بين الأفراد، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبولها ولو كانت شيئا بسيطا فقال: (لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلــت) رواه البخاري.

وتجوز المكافأة على الهدية بل يستحب، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها، رواه البخاري.

والهدية تكون بين جميع الناس كبارا وصغارا، أغنياء وفقراء، وتكون أفضل إذا كانت من الوالدين إلى أولادهمـــا وهنـــا يجب مراعاة العدل بين الأولاد.

لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص الأب بعض أبنائه بشيء من العطايا دون الآخرين، وأمرهم بالتســوية بينهم، وإن فعل ذلك فالعلماء بين محرّم ومكرّه، و لم يقل أحد منهم بإباحة ذلك، وحكمة هذا الحكم واضح فإن من أهم ما ينبغي أن يعتمد الوالد في تربية أولاده التساوي بينهم في كل ما يمنحه لهم من ذاته أو ماله فإن أهمل العدل في ذلك يعقّد من نفوس أبنائه، ويشيع بينهم مشاعر الحقد والسخط.

وإذا كان الإسلام حريصا على أن تشيع في المجتمع والأسرة مشاعر الود والتعاون والتضامن، فإنه يحذر مما قد يعصف فيهما بكل مشاعر التفاهم والوداد. ثم إن المجتمع ليس إلا مرآة كبيرة تنعكس على صفحتها كل ما قد تتلبس به الأسرة من الأحوال.

٥ ــ ما يستفاد من الحديث:

١ ــ لا يحل للوالد أن يفضل بعض أولاده على بعض في العطاء لما في ذلك من زرع العدوان والأحقاد بين الأولاد، قال صلى الله عليه وسلم: (سووا بين أولادكم في العطية ولو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء) رواه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه.

٢ ــ ذهب جمهور العلماء إلى حرمة الرجوع في العطية إلا إذا كانت هبة الوالد لولده، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لرجل أن يعطي عطية أو يهب هبة فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيه كمثل الكلب يأكل، فإذا شبع قاء ثم عاد في قيئه) رواه أبوداد والنسائي.

٣ ــ لقد أرشد الحديث إلى الإشهاد في العطايا مع أن الأصل في المسلم أن يتعامل مع أولاده إخوانه بالأمانة، ولو لم يكن ثمّة شهود، لأن الله تعالى مطّلع عليه وشاهد على أعماله، وكفى بالله وليّا وكفى به شهيدا.

٦ ــ أسئلة المناقشة:

١ ــ عرّف براوي الحديث.

٢ ــ ما الحكمة من جواز الإسلام للأبوين في الرجوع فيما أعطياه لولدهما ؟

٣ ــ ما هي فوائد الإشهاء في العطايا ؟

٤ ــ ما هو الدليل الذي اعتمده العلماء في حرمة الرجوع في العطية ؟